الغول

في معاناتي مع مرضي العضال

فـــي عروقـــي تحـــتَ أعمـــاق التـــراب ... وفروعـــي فـــوقَ أطبـــاق الســـحاب
حشـــوَ أحشـــائي وأمعـــائي وفـــي ... كـــلِّ عـــرقٍ نـــابضٍ طَـــيَّ إهـــابي
كشَّـــر الغـــدّارُ عـــن أنيابِـــه ... كحـــراب وكأنيـــاب الـــذئاب
إنَّـــهُ الغـــولُ الّـــذي اغتـــالَ أبـــي ... وجـــدودي وســـبا أغلـــى صِـــحابي
مثـــل كلـــبٍ كَلِـــبٍ هـــاجمني ... بعـــد أن هرّتـــهُ أجنـــاسُ الكـــلابِ
مثـــل وحـــشٍ جـــائعٍ مســـتوحشٍ ... فـي الـدُّجى استفردَ بـي فـي دُجـنِ غـابِ
وصـــغيراً عـــادَني فـــي حُلُـــم ... ألـــفَ عـــام كـــلَّ يـــوم لعـــذابي
لـــم تكـــن أمّـــي معـــي إن جـــاءني ... أو أبـــي أو حـــارسٌ يحـــرسُ بـــابي
كنـــتُ وحـــدي حـــينَ يـــأتي غرفتـــي ... يتســـلّى بارتيـــاعي واضـــطرابي
كـــانَ ذا ظفـــرٍ ونـــابٍ وأنـــا ... ولـــدٌ غـــضٌّ بـــلا ظفـــرٍ ونـــابِ
كـــانَ يَهْتَـــزُّ وَيَعْتَـــزُّ عَلـــى ... وَلَـــدٍ مُسْتَضْـــعَفٍ غَـــضِّ الإهـــابِ
كـــان يـــأتيني ويهتـــزُّ لـــهُ ... عَـــرْفُ ديـــك لاحَ فـــي رأسِ غُـــرابِ
وإذا قـــامَ أمـــامي قـــالَ لـــي ... إنَّـــكَ اليـــومَ طعـــامي وشـــرابي
قـــاطِعٌ رَقْبَتَـــكَ اليـــومَ أنـــا ... مهنتـــي تَسْـــلِيَتي قَطْـــعُ الرِّقـــابِ
آكِـــلٌ نِصْـــفَكَ نَيئـــاً وَعَلـــى ... نِصْـــفِكَ المَشْـــوِيِّ هـــا ســـالَ لُعـــابي
سَأسُـــفُّ اللحْـــمَ وَالشَّـــحْمَ أنـــا ... وســـأرمي كُـــلَّ عَظْـــمٍ لِلكِـــلابِ
شـــارِبٌ مِـــنْ دَمِـــكَ اليـــومَ أنـــا ... وسأشـــويكَ أنـــا شـــيشَ كبـــابِ
كنـــتُ فـــي حضـــرتِهِ مُرتَجِفـــاً ... كارْتِجـــافِ الجَـــدْيِ فـــي وَسْـــطِ الـــذِّئابِ
كنـــتُ إنْ حاولـــتُ أعـــدو هاربـــاً ... جَمُـــدَتْ رِجْـــلايَ مِـــنْ فَـــرْطِ ارْتِعـــابي
وإذا حاولْـــتُ أنْ أصـــرخَ مـــا ... أطلقـــتْ حنجرتـــي صـــوتَ انتحـــابي
أجَّـــجَ النّـــارَ لحَرْقـــي مـــرَّةً ... حينَهـــا أفْقَـــدَني الرُّعْـــبُ صَـــوابي

وَاسْـــتَحالَ الرَّعْـــبُ غَيظـــاً قـــاتِلاً ... فَـــاعْتراني غضـــبُ الأَسْـــدِ الغِضـــابِ
فضـــربْتُ الغـــولَ فـــي جبهتِـــهِ ... ضـــربةَ الحطّـــابِ فـــي جِـــذْعٍ بغـــابِ
فـــإذا الضَّـــرْبَةُ فـــي صـــدرِ أبـــي ... وهْـــوَ جنبـــي نـــائمٌ فـــي حَـــرِّ آبِ
فعـــلا فـــي الجَّـــوِّ متـــراً وهـــوى ... مثلمـــا ينهـــارُ بيـــتٌ فـــي اصـــطخابِ
قلـــتُ: كـــانَ الغـــولُ قصـــدي يـــا أبـــي ... قـــالَ: "نَـــمْ نَـــمْ". كـــانَ ذا كـــلَّ العِتـــابِ
وامَّحـــى الغـــولُ مِـــنَ الـــدُّنْيا إلـــى ... أنْ أتـــى اليـــومَ لِـــدَفني فـــي التُّـــرابِ

***

جـــاءَني كـــاللصِّ فـــي رأدِ الضُّـــحى ... احتـــلَّ داري دونَ أن يقـــرعَ بـــابي
جـــاءَ فـــي شَـــكْلِ طبيـــبٍ وأنـــا ... غـــارقٌ فـــي بحـــرِ أهـــوالِ العـــذابِ
قـــالَ لـــي: معـــذرةً مـــولايَ مـــا ... لـــكَ عنـــدي غيـــرُ أنبـــاءِ الخـــرابِ
آســـفٌ جـــدًّا أنـــا مُعْتَـــذرٌ ... فكـــلامُ الطـــبِّ نـــابٍ لا يُحـــابي
داؤك الغـــــدّارُ داءٌ مُعضِـــــلٌ ... مـــن عُضـــال الـــداءِ ذو ظِفـــرٍ ونـــابِ
هُـــوَ إرثٌ مـــن أبينـــا آدمٍ ... ومُصـــابٌ هُـــوَ مِـــنْ أمِّ المُصـــابِ
يشـــربُ الأطفـــالَ مـــاءً قَبْـــلَ أن ... يأكـــلَ الأبطـــالَ فـــي شـــرخِ الشـــبابِ
ينبـــذُ الأجســـادَ قشـــراً بعـــدَ أنْ ... ينـــزعَ الأرواحَ منهـــا كاللّبـــابِ
يقضـــمُ الـــدنيا ولا تُشـــبِعُهُ ... يخضِـــمُ الأنجـــمَ ســـيّالَ اللُعـــابِ
مـــا بنـــو الإنســـانِ فـــي قبضـــته ... غيـــرُ دودِ المـــوتِ أو سِـــرْبِ ذبـــابِ
عاريـــاً جئـــتَ إلـــى الـــدنيا فقـــم ... بـــذِّلِ الأكفـــانَ مـــن وَقْـــرِ الثيـــابِ
لـــم يَعُـــدْ مثـــواكَ مـــن أرض الـــورى ... غيـــرُ شـــبرينِ ومتـــرٍ مـــن تـــرابِ
فـــي طَريـــقِ الأرْضِ نَمْضـــي كُلّنـــا ... هَـــوَ خَطْـــبٌ جَلَـــلٌ مِسْـــكُ الخِطـــابِ
أطفـــأ النـــورَ طبيبـــي واختفـــى ... فـــي ظـــلامٍ مثـــلَ بـــومٍ أو غُـــرابِ
حـــلَّ لِلسِّـــكينِ ذبحـــي قبـــلَ أنْ ... تـــدْنوَ السِّـــتينُ مِـــنْ أعتـــابِ بـــابي
مـــا هـــي الـــدنيا إذا بـــانَ النَّـــدى ... فـــي ختـــامِ العمـــرِ إغـــواءَ ســـرابِ
مـــا هـــيَ الـــدنيا بعينـــيّ امـــرئ ... لـــم يـــذُقْ فيهـــا ســـوى كـــأسِ العـــذابِ
كـــلُّ عمـــر الطفـــل لهـــوٌ باطـــلٌ ... وكعمـــرِ العشـــبِ أيّـــام الشـــبابِ
أيُّ عُمْـــرٍ هُـــوَ عُمْـــرُ الحَـــيِّ إنْ ... يَـــكُ مَـــنْ عَمَّـــرَ فيـــهِ لِلخَـــرابِ
هـــذهِ الـــدنيا لـــو المـــوتُ حكـــى ... كهُـــراءٍ أو هَبـــاءٍ أو هُبـــابِ
إنْ تكـــنْ آخـــرةُ الـــدنيا الفنـــا ... فَهْـــيَ دُنْيـــا سِـــعْرُها عـــودُ ثقـــابِ
وإذا كانـــتْ مطـــاراً للسَّـــما ... فالمنايـــا طَيَـــرانٌ فـــي السَّـــحابِ

***

كنـــتُ وحـــدي غارقـــاً فـــي ظلمـــةٍ ... كفـــؤادِ القَبْـــرِ فـــي قَعْـــرِ العُبـــابِ
كنـــتُ وحـــدي لـــم يزرنـــي البـــدرُ فـــي ... مرضـــي والشـــمسُ لـــم تقشـــعْ ضـــبابي
كنـــتُ رهـــنَ الغـــولِ فـــي أمعائـــهِ ... أتلـــوّى مِـــنْ عـــذابي كالهُبـــابِ
كنـــتُ إنْ أَطعمْـــتُ جـــوعي بصـــق ... الغـــولُ أمعـــائي إلـــى وجـــهِ الســـحابِ
كنـــتُ مغلوبـــاً رمـــاهُ الغـــولُ فـــي ... غَمَـــراتِ المـــوتِ فـــي ســـاحِ الغِـــلابِ
كنـــتُ مَصـــلوباً بِـــلا ذَنـــبٍ وَلا ... عِلّـــةٍ لِلمَـــوتِ فـــي لـــوحِ حســـابي

لـــم يكـــنْ مـــنْ خَلْـــقِ ربّـــي عـــارف ... باســـمِ دائـــي أو ذَوو عِلْـــمٍ بِمـــا بـــي
الأطِبّـــاءُ الألـــى اصـــطفّوا بَـــدَوا ... خيبـــةً لـــي كَصُـــوفٍ مِـــن خَـــوابي
قَطّعـــوا لـــي نِصـــفَ أمعـــائي سَـــقَوا ... بِـــدَمي سِـــكّينَ شـــايلوكَ المُرابـــي
لـــمْ يَكـــنْ حَـــيٌّ مَعـــي فـــي غُرفَتـــي ... غَيـــرُ رَبّـــي بَعـــدَ أن غـــابَ صِـــحابي
وَحـــدَهُ المَصـــلوبُ عَنّـــي كـــانَ لـــي ... عـــذبَ مـــاء وشـــفاءً مِـــن عَـــذابي
وَحـــدَهُ المَصـــلوبُ عنّـــي نَفَـــضَ ... الغـــولَ عَنّـــي كَغُبـــارٍ عَـــن ثِيـــابي
أيُّهـــا النـــورُ الإلهـــيُّ أنـــا ... لـــكَ نـــذرٌ وأنـــا غـــضُّ الإهـــابِ
كنـــتُ وحـــدي مُـــدلِجاً فـــي ظلمتـــي ... وبـــكَ اجتحْـــتُ الـــدجى مثـــلَ الشـــهابِ
كنـــتُ وحـــدي جثّـــةً فـــي تربتـــي ... وبـــكَ اســـترجعتُ روحـــي وشـــبابي
كـــأنينِ النـــاي كانـــت مهجتـــي ... وتغنَّـــتْ بِـــكَ جـــذلى كالرّبـــابِ

***

أيُّهـــا المصـــلوبُ مـــن أجـــلِ الـــورى ... وحـــدَكَ المنصـــورُ فـــي ســـاحِ الغِـــلابِ
لـــكَ يُحْنـــي كُـــلُّ طَـــودٍ هامَـــهُ ... وتغيـــبُ الشـــمسُ خجلـــى فـــي حجـــابِ
مـــذ جرعـــتَ المَـــوتَ خلّصْـــتَ الـــورى ... ورميـــت المـــوت عظمـــاً للكـــلاب

***

بـــكَ سُـــرَّ اللهُ قلبـــاً فـــي العُـــلا ... والتَّرابـــيُّ عـــلا فـــوقَ التَّـــرابِ
كـــلُّ شـــيءٍ بِـــكَ فيـــكَ اكتملـــتْ ... النُّبـــوّاتُ وآيـــاتُ الكتـــابِ
أبوانـــا ضـــيَّعا فردوسَـــنا ... فورِثْنـــا المـــوتَ فـــي الأرضِ اليبـــابِ
فغـــدوتَ اليـــومَ فردوســـاً لنـــا ... وســـماءً ومضـــاءً فـــي الصِّـــعابِ
تصـــرخُ الأرواحُ فـــي أجســـادِنا ... مـــعَ ذاكَ اللـــصِّ فـــي غَمْـــرِ العـــذابِ
يـــا رجـــا إيمانِنـــا اذكرْنـــا متـــى ... جئـــتَ فـــي مجـــدِكَ فـــي مَـــتْنِ السَّـــحابِ
ذُلَّ منـــذُ اليـــومِ يـــا غـــولُ إذا ... قمْـــتَ منـــذُ اليـــومِ تســـعى فـــي طِلابـــي
إنْ عرفْـــتَ الحَـــيَّ فـــاعلمْ أنَّـــهُ ... الأزلـــيُّ الحـــيُّ لـــي يـــومَ الغِـــلابِ

أيُّهـــا النّـــورُ الإلهـــيُّ أنِـــر ... بِـــكَ عَينَـــيَّ وَقلبـــي فـــي اغترابـــي
روحُـــكَ القُـــدّوسُ قـــد اســـلمْتَهُ ... لخلاصـــي مِـــنْ جحيمـــي وعـــذابي
وســـكبْتَ الـــدَّمَ مِـــنْ أجـــلِ دمـــي ... فـــاقتبلني ســـكْبَ حَمْـــدٍ وانســـكابِ
يـــدُكَ ابســـطْها علـــى هـــامي وسِـــر ... بـــيَ فـــوقَ النـــارِ أو فـــوقَ العُبـــابِ
اســـتَلمْني لتهاليـــلِ ثـــوابي ... لا تُسَـــلِّمْني لأهـــوالِ العقـــابِ

اســـتلمْني سِـــرْ معـــي قـــدني إلـــى ... ملكـــــوتِ اللهِ أجـــــري وثـــــوابي
لا تُسَـــــلِّمْني لِمـــــا يُســـــمِعُني ... صـــوتَكَ المُرعِـــبَ فـــي يـــومِ الحســـابِ
أنـــــا لا أعـــــرِفُكمْ عَنّـــــي ابعُـــــدوا ... يـــا ملاعـــينُ إلـــى نـــارِ العـــذابِ
هـــا ثنـــائي صـــوتُ صَـــنْجٍ ورربـــابِ ... مِـــنْ جبـــالِ الـــرَّبِّ دوّى فـــي السَّـــحابِ
اِسْـــتَلِمْ يـــا رَبُّ تَسْـــبيحَ فَمـــي ... مَـــعَ تَسْـــبيحِ نَـــواقيسِ القِبـــابِ
سَـــبْكُ ســـيمْفونِيَّةٍ سَـــكْبُ دَمـــي ... لَـــكَ حَمْـــداً يـــا إلهـــي وَانْسِـــكابي
صـــوتُ إيمـــاني صـــلاةُ الشُّـــهبِ ... وابتهـــالُ الشـــمسِ جـــذلى فـــي الرحـــابِ
صـــوتُ إيمـــاني هـــو اللهُ أبـــي ... أيُّ مجـــدٍ فـــي العُـــلا لابـــنِ التُّـــرابِ
يـــومُ مـــيلادي ومـــوتي فـــي المســـيح ... لتمـــتْ مـــن بعـــدِهِ كـــلُّ الرِّغـــابِ

عاصـــفٌ ليلـــي وبحـــري ثـــائر ... وســـلامٌ كـــلُّ خـــيطٍ فـــي ثيـــابي
مـــا اضـــطرابي ومســـيحي ســـائرٌ ... بخلاصـــي فـــوق أمـــواج ارتيـــابي
كُنْـــتُ أعْمـــى لا أرى سِـــرَّ الوُجـــود ... فَتَجَلّـــى اللهُ رَبّـــي لِتُرابـــي
أنـــا جَلْجـــاميثُ أحْـــرَزْتُ الخُلـــودْ ... فـــي مَســـيحٍ رَدَّ لـــي اليَـــومَ شَـــبابي
رُؤســـاءُ الأرْضِ فـــي بَحْـــرٍ وَريـــحْ ... رَقَصـــوا إذْ نَجَحـــوا فـــي الانْتِخـــابِ
وَأنـــا الخـــاطِئُ فـــي الفـــادي المَســـيحْ ... لِخُلـــودٍ فـــي السَّـــما تَـــمَّ انْتخـــابي
بِجَـــلالِ البِـــرِّ قَـــدْ جَلّلْتَنـــي ... بِـــدَمِ الغُفْـــرانِ بَيّضْـــتَ ثِيـــابي
وَدَخَلْـــتُ المَجْـــدَ إذْ أدْخَلْتَنـــي ... قُـــدْسَ أقْـــداسِ الّـــذي خَلْـــفَ الحِجـــابِ

أوائل ٢٠١٢

مِـــنْ قَبْـــلِ سَـــبْعَةِ أعْـــوامٍ مَضـــى خَجَـــلاً ... وَأبْعَـــدَ اللهُ هـــذا الغـــولَ عَـــنْ بـــابي
وَبَعْـــدَ سَـــبْعَةِ أعْـــوامٍ شـــوى رِئَتـــي ... وَعَـــضَّ قَلْبـــي بِأضْـــراسٍ وَأنْيـــابِ
قـــالَ الطَبيـــبُ سَـــتَحْيا الرُّبْـــعَ مِـــنْ سَـــنَةٍ ... أو نِصْـــفَها ثُـــمَّ تَقْضـــي شَـــرْعَةُ الغـــابِ
وَبِـــالعِلاجِ سَـــتَحْيا ضُـــعْفَ ذا عَـــدَداً ... بِـــدَمِ الغُفْـــرانِ بَيّضْـــتَ ثِيـــابي
وَدَخَلْـــتُ المَجْـــدَ إذْ أدْخَلْتَنـــي ... فـــي كُـــلِّ حـــالٍ مُقـــامُ المَـــوتِ فـــي البـــابِ
فَقُلْـــتُ بَـــلْ سَـــوفَ أحْيـــا دائمـــاً أبَـــداً ... مَـــعَ المَســـيحِ وَإنّـــي غَيـــرُ مُرْتـــابِ
فَســـاعَةُ المَـــوتِ أخْـــتُ النَّـــومِ فـــي نَظَـــري ... وَالمَـــوتُ مَيـــتٌ بِإعْجـــامي وَإعْرابـــي
قـــامَ المَســـيحُ مِـــنَ الأمْـــواتِ مُنْتَصِـــراً ... لِكَـــي نَقـــومَ وَنَحْيـــا مَعْـــهُ فـــي الآبِ
عَلـــى الصَّـــليبِ لأجْلـــي مـــاتَ فـــي فَـــرَحٍ ... وَقـــالَ أحْيـــي بِروحـــي كُـــلَّ أحْبـــابي
هـــذا الّـــذي حَمَـــلَ الأدواءَ فـــي دَمِـــهِ ... سِـــرُّ شِـــفائي بِـــرَغْمِ الـــداءِ وَالصّـــابِ